جغرافية المكان والزمان في زيارة الأربعين

م. هاشم محمد الباججي
مركز الامام أمير المؤمنين- العتبة العلوية المقدسة
imamali-cfssar.com

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان-١٤٤٦، آذار ٢٠٢٥

ملخص البحث

جغرافية المكان والزمان في زيارة الأربعين.

الجغرافيا من العلوم المهمة والتي تهتم بدراسة الظواهر الطبيعية والبشرية المختلفة والمواقع المكانية والزمانية .. ، ومن أبرز مواضيع علم الجغرافيا والتي تشكل الركائز الأساسية التي يقوم عليها هذا العلم هي : المواقع ، الأماكن ، التفاعل المشترك ، المناطق ، الحركة.

ومن خلال هذا العلم ولاسيما بعد التطور العلمي الكبير في تحديد الأماكن والمناطق والطرق والمواصلات ورسم الخرائط .. أضحت الكثير من الحوادث التاريخية التي يشكك البعض بها من ناحية وقوعها من عدمه ، أصبح بالإمكان التحقق من إمكانية وقوعها عن طريق علم الجغرافيا ومواضيعه ومرتكزاته ، فباستطاعة هذا العلم من تحديد كل حيثيات الواقعة التاريخية بأرقام علمية دقيقة يثبت من خلالها إمكانية حدوث هذا الامر او الحادثة من عدمه.

ومن هذه الوقائع والحوادث التاريخية المهمة التي يشكك بها البعض هي حادثة زيارة الأربعين ، فمع اقتراب موعد زيارة الأربعين في كل سنة، يحاول البعض بدفع الشبهات حول هذه الزيارة وإمكانية حدوثها بهذه المدة القصيرة في ذلك الحين، فيحاول أن يشكك بإمكانية ذهاب السبايا من الكوفة الى دمشق ورجوعها الى كربلاء بهذه المدة القصيرة والتي تبلغ أربعين يوما ؟ من مقتل الحسين عليه السلام في العاشر من محرم الحرام والى العشرين من صفر الخير موعد الزيارة .

وفي هذا البحث المتواضع نحاول اثبات إمكانية حدوث هذه الواقعة المهمة

(زيارة الأربعين) خلال هذه المدة (٤٠) يوما من خلال مواضيع ومرتكزات علم الجغرافيا وبيان الحقائق العلمية التي تدعم الأدلة الواقعية والعلمية ، إضافة الروايات التاريخية والتي تدعم وقوع هذه الحادثة ، ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق.

الكلمات المفتاحية :الجغرافيا – كربلاء –بلاد الشام – السبايا – البادية – عبيد الله بن زياد – يزيد

Geography of place and time during the Arbaeen visit

M. Hashem Mohammed Al-Bajji
Imam Commander of the Faithful Center - Holy Shrine of the Most High

Abstract:

Geography is one of the important sciences that is concerned with studying various natural and human phenomena and spatial and temporal locations. Among the most prominent topics of geography that constitute the basic pillars on which this science is based are: locations, places, joint interaction, regions, and movement.

Through this science, and especially after the great scientific development in identifying places, regions, roads, transportation, and drawing maps... many historical events that some people question as to whether they occurred or not have become possible to verify their possibility through the science of geography and its topics and foundations. This science can By determining all

the facts of the historical event with accurate scientific numbers through which it is proven whether this matter or incident occurred or not.

One of these important historical facts and incidents that some people doubt is the incident of the Arba'een visit. As the date of the Arbaeen visit approaches each year, some try to cast doubts about this visit and the possibility of it occurring in such a short period of time at that time. They try to cast doubt on the possibility of the captives going from Kufa to Damascus. And her return to Karbala in this short period of forty days? From the killing of Hussein, peace be upon him, on the tenth of Muharram al-Haram and until the twentieth of Safar al-Khair.

In this modest research, we are trying to prove the possibility of this important event (the Arbaeen visit) occurring during this period (40) days through the topics and foundations of geography and the statement of scientific facts that support factual and scientific evidence, in addition to historical narratives that support the occurrence of this event, and from God Almighty we derive Help and success.

keywords: geography - Karbala - the Levant - captives - the desert - Ubaid Allah bin Ziyad - Yazid

المقدمة

اختلفت الروايات كثيرا حول إمكانية عودة قافلة سبايا الامام الحسين عليه السلام يوم العشرين من صفر أي يوم الأربعين (مرور أربعين يوما على استشهاد الامام الحسين عليه السلام) ، فمنها من أثبت ومنها من نفى إمكانية حدوث ذلك ، وحاولت بهذا البحث الصغير ، أن أثبت من الناحية الزمانية والمكانية حدوث ذلك من حيث جغرافية الزمان والمكان والطرق التي سلكتها قافلة السبايا ..

والبحث يدرس إمكانية حدوث ذهاب السبايا من كربلاء الى الشام والعودة من الشام الى كربلاء وفق الطرق الجغرافية المتاحة ووسائل النقل في ذلك الزمان في مدة أربعين يوما ، بغض النظر عن اثبات أو نفي أصل واقعة زيارة الأربعين في الزمان والمكان المعينين ، حسب الروايات الكثيرة التي وردت في الكتب والمصادر التاريخية المعتبرة.

إشكالية البحث :

الإشكالية الرئيسية في هذا البحث والتي حاولنا أن نضعها بين يدي القارئ ، هو هل بالإمكان أن تسير قافلة سبايا الامام الحسين عليه السلام من كربلاء الى الشام ومن ثم الرجوع الى كربلاء في مدة (٤٠) يوما في ذلك الوقت وفي تلك الظروف ؟ ، وهل بالإمكان تحقق ذلك الهدف من خلال الطرق الجغرافية المتيسرة آنذاك ؟ وهل ساعدت جغرافيا المنطقة بما تحويه من أنهار وصحراء على مسير السبايا؟ ، وما هو الطريق الأمثل الذي استخدمته السلطة الاموية لنقل السبايا الى الشام؟.

فرضية البحث :

يتوقف مسير السبايا في ذهابهم وإيابهم الى بلاد الشام على متغيرين ،الأساسي هو إمكانية تحقق المسير والعودة على الطرق الجغرافية التي تم سلوكها وإمكانية تحقق ذلك في مدة أربعين يوما ، والتابع هو الروايات التاريخية التي من الممكن ان تساند الامكانية الجغرافية.

ماهي الجغرافيا

ان لفظ كلمة جغرافيا في أصلها ترجع إلى الكلمة الإغريقية جيوجرافيكا (بالإنجليزية: Geographica)، وهي كلمة مكونة من مقطعين هما جيو (بالإنجليزية: Geo) والتي تعني الأرض، وجرافيكا (بالإنجليزية: Graphica) والتي تعني الرسم، أو التصوير، أو الوصف، وعليها فإن جغرافيا تعني العلم الذي يصف الأرض،(الرديسي؛ جهينة، ص ٥-٦) وعلى هذا الأساس يمكن تعريف علم الجغرافيا بأنه العلم الذي يعنى بوصف الأرض وماهيتها.

وقد ورد علم الجغرافيا في معاجم اللغة العربية بالتعريف الاتي : (العلم الذي يهتم بدراسة مظاهر سطح الأرض الطبيعية، وهو العلم الذي يهتم بتوزيع الحياة النباتية، والحيوانية، والبشرية، كما أنه العلم الذي يدرس النشاط الإنساني وأثره على الأرض، ويكون ميدان الدراسة في علم الجغرافيا الطبقة العليا من القشرة الأرضية، والطبقة السفلية من الجو). (www.almaany.com)

وهناك علاقة وثيقة بين الجغرافيا والتي هي علم دراسة الأرض والمكان، وبين التاريخ الذي هو علم دراسة علاقة الإنسان مع الزمن الماضي ، وبالترابط بين

العلمين، أضحى لنا مصطلح جديد بعنوان الجغرافيا التاريخية ، والتي يمكن تعريفها بأنها دراسة جغرافية مكان معين في فترة من فترات التاريخ، أو هي تطور العلاقة بالإنسان والبيئة خلال فترة من الزمن، وقد اتفق العلماء على أن الشيء الوحيد الذي يميز الجغرافيا التاريخية عن علم آخر هو عنصر الزمن. (الفتحي بكير، ص ٣)

العلاقة بين الجغرافيا والتاريخ

تمثل العلاقة المتبادلة القوية بين الجغرافية – والتي تعرف بعلم المكان – ، والتاريخ – الذي يعتبر هو علم الزمان – موضوع قديم جداً، قد شغل فكر الإنسان منذ أن اهتم بدراسة طبيعة المجتمع البشرى على سطح الأرض، والواقع أنه لا يمكن فصل عاملي المكان والزمان عن بعضهما، كذلك لا يمكن الفصل بين الجغرافيا والتاريخ ، فالتاريخ بدون تحديد الجغرافيا يعتبر كالجثة الميتة لا حياة فيها أو حراك على الإطلاق، كما أن الجغرافيا بغير التاريخ قد تكون لها حياة أو حركة، ولكنها بغير نظام أو نسق تدور في فلكه ، ولذا قد تبدو كثير من الحقائق الجغرافية في الوقت الحاضر غامضة غير مفهومة، حتى نلقى الضوء عليها من خلال التعرض للتطور التاريخي الذي مرت به ، فتظهر الحقيقية وتبدو لنا صورتها واضحة مفهومة، فدراسة التطور التاريخي وحده هو الذي يجعل الحقائق الجغرافية الراهنة ذات معني واضح، فأصل واقعة كربلاء والطرق الجغرافية التي سلكتها سبايا الامام الحسين عليه السلام قد حددت تاريخيا وروائيا لذا فان الجغرافيا والتاريخ كانا لهم الأثر الكبير في معرفة الكثير من الحائق واثباتها.

جغرافية الأرض بين كربلاء والشام

كربلاء

تقع محافظة كربلاء في الجزء الأوسط من العراق جنوب غربي العاصمة بغداد على مسافة (١١٠ كم)، فيما تمتد المحافظة فلكياً بين دائرتيّ عرض (٣٢،٨) و(٣٢،٥) شمالاً، وخطيّ طول (٤٣،١٠) و (٤٤،١٩) شرقاً»، و تحدّ المحافظة من الشمال والغرب، محافظة الأنبار بمسافة (١١٢ كم) ومن جهة الشرق محافظة بابل بمسافة (٤٥ كم)، أما من جهة الجنوب، فتجاورها محافظة النجف الأشرف على بعد (٧٤ كم).

إجمالي المساحة الكلية لمحافظة كربلاء، يبلغ حوالي (٥،٠٣٤ كم) وهي بذلك تشكل نسبة (١،١٪) من المساحة الكلية للعراق، حيث وفّر موقعها الجغرافي هذا، العديد من العلاقات الإقليمية المتميزة، بحكم كونها محاطة من أربع جهاتها بالمراكز الحضرية العريقة ذات البعد التاريخي، لا سيما مدن بغداد وبابل والنجف والأنبار.

ولموقع محافظة كربلاء المقدسة غربي نهر الفرات على حافة البادية الغربية من جانب الغرب، ووسط منطقة السهل الرسوبي من جهة الشرق، جعلها تلعب دورا شديد الأهمية منذ فترات مبكرة من عمر المدينة في عملية الاتصال وسهولة الوصول إليها وذلك من خلال ما تملكه من شبكة طرق برية تربطها بمدن المحافظة والمدن العراقية المجاورة عبر شبكة الطرق الرئيسة والفرعية المنتشرة بشكل كبير في الجزء الشرقي من المحافظة. (موسوعة كربلاء الحضارية الشاملة، المحور الجغرافي، ج١، ص ٢٧)

وقد أعطى الموقع الجغرافي والبيئي المتميز لكربلاء أهمية خاصة منذ أقدم العصور، فهي تنتمي إلى حضارة الأقوام السامية في العراق لا سيما البابليين منهم،

وذلك لقربها من بابل ، وكانت جسراً للهجرات السامية والعربية بين بلاد الشام والجزيرة العربية وبين سواد العراق ، وهي أول مركز استيطان سامي عربي في منطقة الفرات الأوسط ، وملتقى الطرق البرية الرئيسية عبر منطقة عين التمر باتجاه كافة البلدان، فموقعها في الجنوب الغربي وقربها من مجرى نهر الفرات ، ووجودها داخل منطقة مناخية معتدلة ، لا في أقصى جنوب العراق ولا في أقصى شماله ، إضافة لأراضيها الخصبة الصالحة للزراعة ، قد جعلها موقع جذب لبعض القبائل والجماعات والقوافل التي كانت تتجول في القسم الشرقي من شبه الجزيرة العربية ، مما جعل منها أيضاً مركزاً لتجمع سكاني قبل ظهور الإسلام بفترة طويلة .

وقد وجدت لفظة كربلاء في المنحوتات الأثرية البابلية التي عثر عليها الباحثون الأثريون ، فقيل أنها منحوتة من كلمة « كور بابل » وهي تعني مجموعة قرى بابلية قديمة أشهرها وأكبرها (نينوى) التي تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة كربلاء الحالية وهي غير نينوى عاصمة الأشوريين التي تقع في شمال العراق قرب مدينة الموصل وكانت قرية عامرة في العصور القديمة ، سكنها الساميون، وهي الآن سلسلة تلال أثرية ممتدة من جنوب سدة الهندية على نهر الفرات التي تبعد عن كربلاء الحالية بنحو ٣٠ كلم حتى مصب نهر العلقمي في الأهوار القريبة من مدينة كربلاء وتعرف (بتلال نينوى) ،(موسوعة كربلاء الحضارية الشاملة، المحور الجغرافي، ج١، ص٢٧) فكانت كربلاء والكوفة مرتبطة بعدة طرق ببلاد الشام .

بلاد الشام

سورية الطبيعية أو بلاد الشام تمتد بين جبال طوروس شمالاً وبوادي العراق في الشرق، ونجد والحجاز في الجنوب، وسيناء في الجنوب الغربي، والبحر المتوسط في الغرب، وتربو مساحتها العامة على ٣١٧ ألف كيلو متر مربع، ويراوح عرضها بين ١٦٠ و٣٠٠كم، أما طولها فيبلغ ٨٠٠كم. (الموسوعة العربية، ج١١، ص٥٢٤)

فهي مدلول طبيعي يشمل جميع المنطقة الكائنة بين العراق من الشرق والبحر من الغرب، وتركيا من الشمال وشبه الجزيرة العربية من الجنوب.

وقد اتخذت هذه المنطقة خلال عصور التاريخ أسماءً عدة، وذلك بالنسبة إلى الشعوب التي قطنتها أو سيطرت عليها؛ فسُميت تارةً باسم الحوريين، وتارةً أخرى باسم الآموريين والآراميين، ولكنّ اسمين لها خلدا إلى اليوم، وهما سورية الطبيعية وبلاد الشام.

ومنشأ اسم الشام قد ورد في الشعر الجاهلي، وفي أحاديث رسول الله ﷺ، ويميل أكثر المؤرخين والجغرافيين العرب إلى الاعتقاد بأن الشام سميت شاماً، لوقوعها على شمال الكعبة إذا اتجهنا نحو مطلع الشمس، واليمن سميت يمناً، لوقوعها على يمين الكعبة.

ويردها البعض إلى كلمة (تشاءم) أي اتجه نحو الشآم، والشآم هو جهة اليسار، وذلك لأن الكنعانيين تشاءَموا إلى سورية من العراق ، وقد تكون الشام جمع شامة، تشبيهاً لها بالشامات المتفرقة على جسم الإنسان، وذلك لتنوع تربتها، أو لانتشار القرى والبلدات على سطحها، ويذهب بعضهم إلى أن كلمة شام هي

في الأصل سام، وهو سام بن نوح، الذي يقال أنه أول من حّل الأرض السورية بعد الطوفان،(الموسوعة العربية، ج١١، ص٥٢٤) لذا كانت هناك عدة طرق تربط العراق ببلاد الشام لأغراض التجارة وغيرها.

الطريق من الكوفة الى الشام

ذكرت الكتب التاريخية ثلاث طرق جغرافية، والتي من خلالها يمكن ان تصل الكوفة بالشام وبالعكس، وهذه الطرق كالاتي:

١. طريق البادية

تقع كلا من الكوفة والشام على دائرة عرض واحدة بحوالي ٣٢ درجة، المعروف بطريق (عرب عقيل)، وتبلغ المسافة ما بين الكوفة والشام ما يعادل (٩٢٣) كيلو متر، ويمكن قطعه في أسبوع لكونه مستقيمًا، والبريد كان يذهب من الشام إلى العراق في أسبوع، وهذا يعني أنّ الطريق الطبيعي بين هاتين المدينتين يكاد يقع على مدار واحد ولا حاجة إلى الصعود والنزول على الأرض، ويعرف هذا الطريق (طريق البادية)، وهو أقصر الطرق بين هاتين المدينتين.

والمشكلة الرئيسية لهذا الطريق القصير هي مروره بالصحراء الممتدّة بين العراق والشام والمعروفة منذ قديم الأيّام باسم (بادية الشام)، ومن الواضح أنّ هذا الطريق لم يكن يسلكه سوى الذين يمتلكون الإمكانيات الكافية ـ وخاصّة الماء ـ لاجتياز المسافات الطويلة بين منازل الطريق الصحراوي المتباعدة، رغم أنّ سرعة المسافر كانت تدفعه أحياناً إلى اجتياز هذا الطريق ، وممّا يجدر ذكره أن لا وجود للمدن الكبيرة في الصحاري، ولكن هذا لا يعني عدم وجود الطرق، أو بعض القرى الصغيرة. (الريشهري ، ج٥ ، ص٢٠٣)

(الطريق الصحراوي او طريق البادية وهو الأقرب بين كربلاء والشام)

٢.طريق ضفاف الفرات

يعتبر الفرات أحد نهري العراق الكبيرين ، وينبع من تركيا ويصبّ في الخليج بعد اجتياز سوريا والعراق. وكان الكوفيّون يسيرون على ضفاف هذا النهر للسفر إلى شمال العراق والشام؛ كي يكون الماء في متناولهم، ولكي يستفيدوا أيضاً من إمكانيات المدن الواقعة على ضفاف الفرات، ولذا كانت الجيوش الجرّارة والقوافل الكبيرة التي هي بحاجة إلى كمّيات كبيرة من المياه مضطرّة لسلوك هذا الطريق .

ويتّجه هذا الطريق ابتداءً من الكوفة نحو الشمال الغربي بمسافة طويلة ، ثمّ ينحدر من هناك نحو الجنوب وينتهي إلى دمشق بعد اجتيازه الكثير من مدن الشام. وقد كان لهذا الطريق تفرّعات عديدة ، ويبلغ طوله التقريبي حدود (١١٩٠ إلى ١٣٣٣ كيلومترا) ، وكان بديلاً مناسباً لطريق البادية الشاقّ وإن كان قصيرا ، وهذا الطريق الذي سلكه أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب عليه السلام) في معركة صفين ،ويمكن أن نشبّه مجموع هذا الطريق وطريق البادية بمثلّث قاعدته طريق البادية.(الريشهري، ج٥ ، ص٢٠٤)

(طريق ضفاف الفرات والذي عادة ما تستخدمه الجيوش في ترحالها لانها بحاجة الى الماء)

٣.طريق ضفاف دجلة أو الطريق السلطاني

يعدّ دجلة النهر الكبير الثاني في العراق، حيث ينبع هو الآخر من تركيا أيضا، ولكنّه لا يمرّ بالشام ، فكان الذي يريد السفر إلى شمال شرقي العراق يختار ضفافه للسفر إلى هناك. ولم يكن هذا الطريق هو الطريق الرئيسي بين الكوفة و دمشق وإنّما

يسيرون مقدارا منه ثمّ ينحرفون تدريجيّاً نحو الغرب والالتحاق بطريق ضفاف الفرات بعد اجتياز مسافة ليست بالقصيرة، ثمّ دخول دمشق من ذلك الطريق.

ويمكن اعتبار هذا الطريق ثلاثة أضلاع من مستطيل طوله طريق البادية، والأضلاع الثلاثة الأُخرى هي : المسافة المقطوعة من الكوفة نحو الشمال، الطريق المقطوع باتّجاه الغرب ، ثمّ رجوع قسم من الطريق المقطوع نحو الجنوب ، ولذلك فإنّه أطول من جميع الطرق الأُخرى ، ويبلغ طوله حدود (١٥٤٥ كيلومترا) وهو أطول الطرق. (الريشهري ، ج٥ ، ص٢٠٥)

(طريق السلطاني او طريق الموصل الذي يربط بين الشام والكوفة آنذاك)

واختلف المؤرخون بالنسبة لسبايا الامام الحسين عليه السلام أي من هذه الطرق الثلاث قد سلكت ، ولم يرد دليل واضح ورواية تاريخية معتبرة وقديمة لإثبات مرور سبايا أهل البيت عبر أحد هذه الطرق الثلاثة، كما لم تصلنا رواية عن أهل البيت عليهم السلام (الطبطبائي، ج٥ ، ص٢٠٥)،ولكن هناك بعض القرائن التي يمكن من خلالها القول بترجيح طريق البادية على الطريقين الآخرَين ، وهي :

أوّلاً:

لوكان مسير الأُسارى هو طريق ضفاف الفرات أو الطريق السلطاني اللذين يمرّان عبر مدن كثيرة ، لنقلت لنا المصادر المعتبرة بعض الأخبار المتعلّقة بكيفية مواجهة أهالي تلك المدن مع أهل البيت عليهم السلام ، أو على الأقلّ مشاهدتهم فيها ؛ كما هو الحال في كربلاء والكوفة والشام، في حين إنّنا لا نجد في هذا المجال خبرٌ واحد حول هذا الموضوع.بناءً على ذلك ، فالظاهر أنّ مسير السبايا كان من طريق قليلة السكّان أو خالية منهم،وهو ما يرجّح طريق البادية .

ثانيا:

إنّ الاعتراضات التي كانت تشكّل ضغوطا على الجهاز الحاكم والتي بدأت منذ اللحظة الأُولى لشهادة الإمام الحسين عليه السلام ؛ حتّى من قِبل الموالين للحكومة وأُسَرِ المقاتلين الجُناة و أصداء واقعة عاشوراء وانعكاساتها في الكوفة، تشكّل وبطبيعة الحال مانعا عن نقل السبايا والرأس الشريف عن طريق المدن والقرى العامرة بالسكّان.

ويؤيّد ذلك ما ورد في كتاب الكامل للبهائي ، حيث قال :

إنّ الأنذال الذين حملوا معهم رأس الإمام الحسين عليه السلام من الكوفة كانوا خائفين من أن تقوم القبائل العربيّة عليهم وتستعيد الرأس الشريف ؛ ولهذا فقد تركوا طريق العراق ولجؤوا إلى الطرق الفرعيّة . (الطبطبائي، ج٥ ، ص٢٠٥)

ثالثا:

من الأُصول المهمّة التي تعتمدها الحكومات فى سياساتها سُرعة العمل ، وهذا الأصل يستدعي اختيار أخصر الطرق وأسرعها .

ومن خلال استعراض هذه المحاذير الثلاث ، نرجح ان طريق السبايا كان عن (طريق البادية) ، وهو أقصر الطرق بين هاتين المدينتين والذي يبلغ حوالي أقل من ألف كيلومتر .

وحسب حساب المسافةَ بين الكوفةِ ودمشقَ في حساب المسافات الحديثة والدقيقة يبلغ ١٠٩٧ كيلو متر (٦٨٠ ميل) فقط هذا اذا كان الطريقُ متعرجا وليس مباشرا ، اما اذا اخذنا المسافةَ بشكلٍ مباشرٍ اي بنحو مستقيمٍ بين المدينتين وبحسب الخرائط الجغرافية ، فان المسافةَ ستكونُ سبعمائة وأربع وسبعون كيلو متر ، (٤٦٤ ميل). (HTTPS://IQ.UTC./CITY)

وبعد معرفة هذه الحقائق الجغرافية والتاريخية ، يمكن معرفة المسافة والوقت التي استغرقها موكب السبايا منذ خروجه من الكوفة بتجاه الشام أولا .

تفاصيل سير السبايا منذ مقتل الحسين عليه السلام في ١٠ محرم وحتى ٢٠ من شهر صفر :

من كربلاء الى الكوفة ..

بعد شهادة الامام الحسين عليه السلام هو وأهل بيته وأصحابه في اليوم العاشر في كربلاء ، بات جيش عمر بن سعد يوم العاشر في كربلاء ، وفي يوم الحادي عشر دفن عمر بن سعد قتلى جيشه ، ثم غادر كربلاء بعد ظهر يوم الحادي عشر من محرم حاملا معه السبايا الى الكوفة لتسليمهم الى والي الكوفة عبيد الله بن زياد ، وصل موكب السبايا إلى تخوم الكوفة ليل الثاني عشر من محرم، فبات هناك، ولم يدخل المدينة، لِحِرْصِ عبيد الله بن زياد على أن يكون دخولهم إلى المدينة استعراضياً بالجُند والسلاح ومظاهر الزينة ، والراجح أن الموضع الذي باتوا فيه هو الذي يُعرف اليوم (مسجد الحنانة) موضع راس الحسين عليه السلام ، ودخل الركب الكوفة في اليوم الثاني عشر من المحرم سنة (٦١) هـ، ففزع أهل الكوفة، وخرجوا الى الشوارع، جلس ابن زياد في قصر الإمارة وأذن للناس إذناً عاماً ، وأمر بإحضار الرأس فوضع بين يديه فجعل ينظر إليه ويتبسّم وبيده قضيب يضرب به ثناياه ، وكان إِلى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو شيخ كبيرٌ فقال : ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين ، فو الله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لا أُحصيه تترشفهما ، ثمّ انتحب باكياً .(الطبرسي ، ج١أ ص٤٧١-٤٧٤)

من الكوفة الى الشام

بعد وصول سبايا الامام الحسين عليه السلام والذيم كانوا ما يقارب عشرين امرأة وبضعة رجال من بينهم الامام زين العابدين عليه السلام ، ودخولهم مجلس عبيد الله بن زياد ، وخطبة الامام السجاد وعمته زينب سلام الله عليهم في المجلس ، اضطربت أحوال الكوفة ، وأصبح الوضع مقلقا لابن زياد وزبانيته ، فعمل ابن زياد الى تجهيز السبايا وارسالهم سريعا الى الشام عند يزيد بن معاوية ، لذا انطلق موكب سبايا الامام الحسين عليه السلام سريعا من الكوفة بتجاه الشام يوم الثالث او الرابع عشر من شهر محرم الحرام سنة ٦١ للهجرة(ابنِ الجَوزيّ، ص٢٣٤)، وهذا النقل قريب من الواقع، فابن زيادٍ جهّزهم وأرسلهم سريعاً إلى الشام خوفاً من اضطراب الوضع في الكوفة.

وفي رواية أخرى ان خروج السبايا من الكوفة الى الشام كان يوم التاسع عشر من محرم سنة ٦١ للهجرة. (ابن طاووس، ص١٠٠)

سارع عبيد الله بن زياد بالكتابة إلى يزيد بن معاوية في الشام يعلمه بمصرع الحسين بن علي عليهما السلام ووصول السبايا ورؤوس القتلى إلى الكوفة، فردّ عليه يزيد بالإسراع في إيفاد الأسرى مع الرؤوس إليه(الشهرستاني، ص٧١)، وقد كتب يزيد بن معاوية رسالة إلى واليه على الكوفة عبيد الله بن زياد، يطلب منه أن يرسل السبايا إليه بقوله: «سَرّح الأُسَارى إليّ»، فاستدعى ابن زياد بمخفر بن ثعلبة العائذي، فسلّم إليه رؤوس الشهداء مع أسرى أهل البيت عليهم السلام، وأمره أن يسير بالسبايا مع شمر بن ذي الجوشن إلى يزيد في الشام. (ابن قولويه، ص١٦٠. تاريخ الطبري، ج٦، ص٢٦٤)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثالث، السنة الثالثة، الملحق (٤)

دخول السبايا دمشق (الشام)

المشهور بين علمائنا أنّ السبايا دخلوا الشام في الأوّل منْ صفرٍ ، قال الشيخ عباس القمّيّ: (قال الشيخ الكفعميّ وشيخنا البهائيّ والمحدّث الكاشانيّ: في أول صفرٍ أدخل رأس الحسين عليه السلام إلى دمشق ، وهو عيد عند بني أميّة ، وهو يوم تتجدّد فيه الأحزان ، وحكي أيضاً عن أبي ريحان في الآثار الباقية أنّه قال: في اليوم الأوّل من صفرٍ أدخل رأس الحسين عليه السلام مدينة دمشق فوضعه يزيد بين يديْه ونقر ثناياه بقضيبٍ في يديه ..(الكفْعميّ، ص ٥١٠؛ للبهائيّ ص٤؛ للكاشانيّ ص١٥؛ للبيرونيّ، ص٣٣١)

فيكون مجموع مسيرهم من الكوفة إلى الشام سبعة عشر أو ستة عشر يوماً، أو احدى عشر يوما على رواية (خروج السبايا يوم ١٩ محرم من الكوفة).

فوصل ركب السبايا في أول صفر من سنة ٦١ هـ إلى الشام، (الخوارزمي، ص ٣٣١) ولكن المؤرخين كابن أعثم الكوفي والشيخ المفيد وتبعه في هذا الشيخ الطبرسي ـ لم يحددوا مدّة إقامة السبايا في الشام بل اكتفوا بتعبير (مدّة) أو (أياماً في الشام). (الطبسي، ج ٦، ص ٢٧٠ – ٢٧١)

كم لبثت سبايا الامام الحسين عليه السلام في الشام

اختلف المؤرخون والكتّاب في مدّة بقاء سبايا الامام الحسين عليه السلام في الشام، فذهب كلّ واحد منهم إلى رأي وقول واستقرب كلّ منهم مدّة معيّنة حسب بعض القرائن التي يرتضيها.

ففي (طراز المذهب) نقل عن السيّد الطباطبائي أعلى الله مقامه أنّه قال في حاشية رياض المصائب: أنّ مدّة بقاء أهل البيت عليهم السلام في الشام أربعين يوماً، وذهب الميلاني نقلاً عن الكاشفي أنّهم عليهم السلام بقوا ستّة أشهر ونسب ذلك إلى ابن بابويه قدس سره. (الخلخالي، ص ١٨٧)

وقال مؤلّف (مفتاح البكاء ومهيّج الأحزان) أنّهم بقوا ثمانية عشر يوماً، وقال البعض: إنّهم لم يبقوا إلّا عشرة أيّام والله العالم. (سپهر، ج ٢ ، ص ٤٧٣)

وعلى أيّة حال، فإنّ يزيد اللعين حينما أحسّ بالخطر وتوقّع الفتنة حيث أخذ أهل الشام يلعنونه عمد إلى تخيّر أهل البيت عليهم السلام بين البقاء في الشام والرحيل إلى مدينة جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت العقيلة زينب عليها السلام: ردّنا إلى المدينة فإنّها محلّ هجرة جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأشار يزيد اللعين على صحابي رسول الله صلى الله عليه وآله النعمان بن بشير ومعه ثلاثة رجال أن يرافقوا قافلة أهل البيت عليهم السلام في مسيرها إلى المدينة، وفي بعض الأخبار أنّه بعث مع النعمان خمسمائة فارس من جنوده وأمرهم أن يوصلوا أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة.

كما هيّأ يزيد وسائل السفر واحتياجاته وأشار على جماعته أن يسمعوا لأهل البيت عليهم السلام في سفرهم ويكونوا تحت اختيارهم، فمتى أرادوا النزول ينزلوا معهم،

ومتى أرادوا المسيرة يسيروا، وقد أمر رجاله أن يبتعدوا في مسيرهم عن القافلة كي لا يزاحموا العلويات المخدّرات. (سپهر، ج ٢ ، ص ٤٧٣)

وجاء في روايات أخرى أن السبايا أقاموا أياما في دمشق وكثر النَّوْحِ والبكاءِ والمأتمِ على الإمامِ الحسينِ عليه السلام، فجهّزهم يزيدُ سريعاً إلى المدينة اي بعد ٥ أو ٦ ايام من وصولهم دمشق،(المفيد ،ج٢ ،ص١٢٢) ليبتعد عن الفتنة وغضب الناس عليه ، وعلى الغالب ان هذه الرواية هي الأقرب للصحة ، فليس من مصلحة يزيد ان يبقي ال الرسول صلى الله عليه وعليهم في دمشق ليثير غضب الناس عليه سيما بعد أن عرف أهل دمشق ان هؤلاء السبايا هم ال الرسول صلى الله عليه وآله وليسوا من الخوارج ، وعلى هذا الأساس يكون خروجهم يوم ٥ او ٦ من شهر صفر من دمشق بعد أن خيرهم يزيد للخروج واعتذر منهم(للخوارزمي ، ج ٢، ص ٧٤)، ولاة حين مناص.

معدل سير القافلة سيما الجمال في الصحراء

الجمال ذات أرجل طويلة، وأقدام واسعة تساعدها في المشي على الرمال بحرية كاملة، بالإضافة إلى الأقدام المسطحة والعريضة لها إصبعان يتباعدان عند المشي حتى لا يغرق الجمل في الرمال الصحراوية ، ويستطيع الجمل أن يسير ١٤ كيلو متر كمعدل في الساعة الواحدة (Wiki Wic from wikiwic.com))، وبذلك اذا كانت قافلة السبايا على افتراض عقلائي أن تسير في اليوم حوالي ١٠ ساعات ، وتستريح ١٤ ساعة ، فان قافلة السبايا تستطيع أن تقطع مسافة ١٤٤ كم في اليوم الواحد ، فإذا كانت قافلة السبايا قد خرجت من دمشق الشام يوم السادس أو السابع من شهر صفر ، فإن بإمكانهم الوصول الى كربلاء يوم العشرين من صفر أو حتى أقل من ذلك الوقت ، حتى اذا سلكت أطول الطرق للوصول الى كربلاء ، وهذا يعني من

الناحية الجغرافية من حيث الزمان والمكان بالإمكان حدوث زيارة الأربعين من قبل الامام زين العابدين عليه السلام والسبايا الذين معه .

إمكانية الوصول الى كربلاء يوم العشرين من صفر

وبنظرة فاحصة، وحسب حساب طول الطرق الجغرافية والمسير من خلالها، يمكن استخلاص الاتي:

- استغرق مسير السبايا من الكوفة الى دمشق ١٦ او ١٧ يوم.
- ومن دمشق الى كربلاء ١٣ او ١٤ يوم.

ومن خلال هذه النتيجة والتي يمكن حسابها بالطرق العلمية الواضحة والمتاحة لكل أحد سيما ونحن اليوم في عصر العلم والمعرفة والحسابات الجغرافية الدقيقة ، يمكن القول وبغض النظر عن الروايات المؤيدة أو النافية لعملية رجوع السبايا ، الا انه يمكن القول انه بالإمكان من الناحية الزمانية والمكانية لقافلة السبايا أن تصل الى كربلاء يوم العشرين من صفر أي يوم الأربعين ، سيما بعد حساب سير القافلة من كربلاء الى الكوفة والمكوث لأيام في الكوفة ثم المغادرة الى الشام والمكوث لأيام في الشام ، ثم الرجوع الى كربلاء ، في مدة أربعين يوما ، وبالحسابات الجغرافية بالإمكان حدوث هذه الرحلة وفق الطرق الجغرافية المتاحة آنذاك

الخاتمة والنتائج

١.من الناحية العملية والجغرافية وبغض النظر عن أي رواية ، إمكانية سير السبايا من كربلاء والى الكوفة ثم الى الشام ثم العودة الى كربلاء في مدة أربعين يوما ، كما وضحنا انفا.

٢.على الاغلب استخدم جيش السلطة الاموية طريق البادية الصحراوي للوصول بالسبايا الى الشام لانه الأقرب ، وكذلك الابتعاد عن مناطق المدن المأهولة بالسكان والتي قد تسبب من حالات الاعتراض على الجيش الاموي لفعلهم الشنيع بال الرسول الاكارم.

٣.تعضد بعض الروايات إمكانية وصول السبايا يوم الأربعين الى كربلاء : سُمِّيَت بِزِيارَةِ الأَربَعينَ لِأَنَّ وَقتَها يَومُ العِشرينَ مِن شَهرِ صَفَرٍ ، وذلِكَ لِأَربَعينَ يَوما مِن مَقتَلِ الحُسَينِ عليه السلام ، وهُوَ اليَومُ الَّذي وَرَدَ فيهِ جابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ الأَنصارِيُّ صاحِبُ النَّبِيِّ صلى الله عليه و آله مِنَ المَدينَةِ إلى كَربَلاءَ لِزِيارَةِ قَبرِ الحُسَينِ عليه السلام ، فَكانَ أوَّلَ مَن زارَهُ مِنَ النّاسِ ... وفي هذَا اليَومِ كانَ رُجوعُ حَرَمِ الحُسَينِ عليه السلام مِنَ الشّامِ إلَى المَدينَةِ .

المصادر

١. تاريخ الرسل والملوك ، الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – مصر ، ١٩٦٧م.

٢.المصباح، الكفْعميّ، مؤسسة النعمان ، مؤسسة الاعلمي – بيروت ،١٩٨٣م.

٣.تذكَرة الخواصّ من الامة بذكر خصائص الائمة، ابنِ الجَوزيّ،تحقيق : حسين تقي زاده ،المجمع العلمي لال البيت .

٤. كامل الزيارات ، ابن قولويه ، المطبعة المباركة المرتضوية ، ١٣٦٥هـ .

٥.إعلام الورى بأعلام الهدى ، الطبرسي ، مؤسسة ال البيت لاحياء التراث ، ١٤١٧هـ .

٦.اللهوف في قتلى الطفوف ، ابن طاووس ، أنوار الهدى – ١٩٩٦م.

٧.نفس المهموم ، عباس القمي ، دار المحجة البيضاء – دار الرسول الكريم ، ٢٠١٢م .

٨.توضيح المقاصد،البهائيّ ، مكتب المرعشي النجفي – قم ، ١٤٠٦هـ .

٩.تقويم المحسنين ، للفيض الكاشانيّ ، تحقيق : علي الشريعتي ،مجمع الامام الحسين العلمي – ٢٠١٦م .

١٠.الآثار الباقية عن القرون الخالية، محمد البيرونيّ ، مركز ميراث مكتوب – طهران ، ٢٠٠١م.

١١.تاريخ النِّياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي (ع)، صالح الشهرستاني، تحقيق نبيل رضا ،مؤسسة انصاريان – ٢٠٠٥م.

١٢.مقدمة في الجغرافيا البشرية ،. د. مسري محمد على حسن الرديسي، د. عبد المحمود علي أحمد جهينة، الدار العالمية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ .

١٣.معجم المعاني الجامع، www.almaany.com

١٤. الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية ، محمد الفتحي بكير، دار المعرفة الجامعية ، ط١، ١٩٩٩م.

١٥.موسوعة كربلاء الحضارية الشاملة، المحور الجغرافي، منشورات مركز كربلاء للدراسات والبحوث– ٢٠١٧،.

١٦.الموسوعة العربية ،مجموعة باحثين ، دار الفكر المعاصر ، ٢٠٠١م.

١٧.موسوعة الامام الحسين عليه السّلام في الكتاب و السّنّة و التّاريخ محمد الريشهيري– محمود الطبطبائي والسيد روح الله الطبائي، دار الحديث – بيروت ، ٢٠١٠م .

١٨.iq.utc.city – موقع لحساب المسافات على الانترنت

١٩.مع الركب الحسيني، علي الشاوي – نجم الدين الطبسي– محمد الاميني، مركز

الدراسات الاسلامية ،٢٠٠٢م.

٢٠.السيدة رقية بنت الامام الحسين ، علي الرباني الخلخالي ،ترجمة جاسم الاديب ، مكتبة التاريخ – قم ، ١٤٢٤ه.

٢١.ناسخ التواريخ ، عبّاس علي خان سپهر، ترجمة سيد علي أشرف ، دار الارشاد – طهران.

٢٢.موسوعة Wiki Wic from wikiwic.com